المصدر: الاهــــرام

التاريخ : ١٩٧٨/١٢/٢٥

ذكريـــات جهـــاده فى عيـد ميـــلاده

تعود الناس الاحتفال باعياد ميلادهم باقامة الحفلات التى يلتئم فيها شمل الاقارب والاصدقاء حول ما لذ من طعام وشراب .. لكن الرئيس الســادات ـ بفكره الذى يمزج التصوف بالتحرر بالثورة ـ لا يتقبل هـذا الاسـلوب التقليدى فى احتفاله بعيد ميلاده الذى يكون قد مر عليه اليوم ستون عاما ، زاخرة بالكفاح الطويل والجهاد الشاق من أجل وطننا المصرى وامتنا العربية .. والرئيس الســادات يرفض هـذا الاسلوب التقليدى ، لان حياته لم تكن تقليدية على الاطـلاق ، كانت حيـاة مليئة بالمنحـدرات الخطـيرة والقمم الشاهقة .. لذلك يرى فى عيد ميلاده جسرا جـديدا للعبور الى عام جـديد مشحون بالجديد من الكفاح والجهاد .من هنا كان اصرار الرئيس الســادات على قضاء هذا اليوم فى قريته الوادعة ميت أبو الكوم ـ بقدر الامكان ـ اذ انها المكان الذى يتيح له فرصة التامل العميق الذى يمتد ليشـمل أحـداث العـام المنصرم ومـا قبله ، ثم ينطلق ليسـتشرف آفاق العام الجديد ، بكل ما يحمله من آمال وتطلعات من أجـل مصر والامة العربية .

واذا كانت ميت ابو الكوم هى الخلفية الفكرية والعاطفية التى ترتبط بذكريات الطفولة والنشأة فى ذهن السادات ، فان ذكريات الجهاد تشكل النغمة الاساسية المرتبطة بعيد ميلاده .. فعندما يتأمل مجريات الاحداث الشخصية والقومية التى مر بها ، فان الجهاد من اجل امه مصر يبرز قمة شاهقة لتبلور معنى حياته كلها .. من اجلها حارب الاستعمار ، وطرد من الجيش ، ودخل السجون والمعتقلات ، ابتداء بسجن الاجانب ومعتقل ماتوسة والزيتون ، وانتهاء بسجن مصر المركزى الذى كان معروفا باسم « قره ميدان » .. من اجلها ايضا وضع نواة تنظيم الضباط الاحرار بعد تخرجه فى الكلية الحربية عام ١٩٣٨ بشهور قليلة ، ثم شارك بعد ذلك فى التخطيط للثورة بعد عودته للتنظيم ، وكان الصوت الذى اعلن على العالم أجمع بيان الثورة فى فجر ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ .

هذا عن ذكريات الجهاد فى الماضى البعيد ، اما عن ذكرياته فى الماضى القريب ، فمن اجل امه وحبيبته مصر قام **بثورة التصحيح** فى ١٥ مايو سنة ١٩٧١ ، لكى يقضى على فاشية مراكز القوى التى شوهت وجه مصر الجميل ، ثم قضى على **تبعية مصر للقوى الخارجية ، بطرد الخبراء السوفييت فى ٨ يوليو سنة ١٩٧٢** ، ثم عبر بمصر من **الهزيمة الى النصر فى ٦ اكتوبر** سنة ١٩٧٣ . وبعد ذلك عبر بها من الحرب الى السلام فى ١٩ نوفمبر سنة ١٩٧٧ واصبح السلام لاول مرة قوة طاغية فى المنطقة لاتستطيع اسرائيل ان تفعل شيئا حيالها ، وذلك مهما حاولت وضع العقبات والعراقيل فى طريقه

وسط كل هذه الاحداث المصيريه الخطيرة ، يأتى عيد ميلاد السادات علامة مضيئة على الطريق الشاق والطويل الذى سار عليه مسيرته التاريخية .. ففى هذا اليوم الذى يترك فيه السادات العنان لطاقة التأمل عنده ، يستلهم روح شعبه الذى يتمثل بكل بساطته ونقائه وصفائه وجوهره فى قريته ميت أبو الكوم التى يرى فيها الام التى علمته كل قيم الصبر والايمان والصلابة والصمود والحب والتعاطف والتعاون .. وهى القيم التى لازمته منذ فجر طفولته وصباه ، وواكبت حياته ، وكانت الخلفية الملازمة لكل قرارات المصير التى اتخذها وغير بها وجه المنطقة كلها .. لهذا نجده يقول فى كراسة السجن . فى ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٤٦ ، أى فى العام الاول لسجنه فى قره ميدان .

« اليوم هو عيد ميلادى ، لا أدرى لماذا تداعبنى خواطرى فى ابتهاج ونشوة ، فمنذ ثمانية وعشرين عاما خلت ، وفى مثل هذا اليوم ، كان مولدى الساذج فى تلك القرية الهادئة بالمنوفية .. سأذكر دائما هذا اليوم ، وسأذكر أيضا عشيرتى من الفلاحين الكادحين فى بساطة ووداعة .. فهذه الذكرى ترفعنى فوق اللؤم المدنية وخداعها ومظاهرها المتكلفة وأهلها السطحيين .. سأذكر دائما بيئتى القروية الساذجة حيث تمتلىء النفوس بالايمان بالله ، وحيث يرجعون كل شىء الى الله .. فهناك تعلمت ان الله حى فى كل شىء ، وان العبرة بنقاء السريرة قبل العلانية .. سأذكر محصول الثمانية والعشرين عاما الماضية بفخر واعتزاز ، وسأسير مرفوع الرأس غير خائف ان يساء فهمى أو يؤول

قصدى .. اللهم حمدا وشكرا فانت وحدك القوى المكين » .

واذا كان الرئيس السادات يذكر بفخر واعتزاز محصول الثمانية والعشرين عاما السابقة لعيد ميلاده فى ٢٥ ديسمبر عام ١٩٤٦ ، فكيف يذكر محصول الستين عاما السابقة لعيد ميلاده فى ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٧٨ ! .. كانت كلها سنوات حسم للمصير بطريقة او بأخرى ، وخاصة سنوات تولى المسئولية منذ اكتوبر سنة ١٩٧٠ ! .. واذا كان ونستون تشرشل قد تكلم عن القمة الباردة المظلمة التى طالما جلس عليها الزعماء فى لحظات تحديد مصائر بلادهم حين يذهب ابناء الوطن للنوم ملء جفونهم لانهم يعلمون ان المسئولية النهائية هى مسئولية الزعيم القائد صاحب القرار ، اذا كان تشرشل قد قال هذا الكلام الذى ينطبق على زعماء كثيرين ، فانه لا ينطبق بنفس القدر على السادات . فلم يكن السادات وحده فوق القمة الباردة المظلمة ، فقد احاطته قلوب شعبه خاشعة فى صلاة لله العلى القدير لكى يمده بالعزم والصلابة .. بل ان القمة التى جلس عليها السادات لم تكن باردة او مظلمة ، كانت تشع بدفء القلوب المصرية وتتلألأ بضيائها .. كما كانت معه على القمة كل القيم الحضارية التى تعلمها فى احضان مبت ابو الكوم .

واذا كان الرئيس السادات يتأمل ذكريات جهاده فى عيد ميلاده ، فلابد ان تطوف به ذكرى صديق عمره وزميل كفاحه جمال عبد الناصر الذى كتب عنه فى مقدمة كتاب « صفحات مجهولة » فى نوفمبر ١٩٥٤ فقال :

« ان شخصية أنور السادات ، لجديرة بالاعجاب ، خليقة بالاطراء ، فعبقريته العسكرية الممتازة ،وشجاعته ورباطة جاشه ، واخلاصه وتفانيه في خدمة المثل العليا ، الى جانب قوة ارادته ، وتنزهه عن الغرض ، ورقة عواطفه ، وميله الغريزى للعدالة والانصاف . كل هذه الصفات جعلته أهلا للقيام بدور هام فى التمهيد لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ والسير بها قدما فى سبيل النجاح .

لقد استخدم أنور السادات هذه السجايا فى جميع أدوار حياته ، كما احسن استخدامها فى خدمة القضية الوطنية ، فنجده قد سجن فى شهر نوفمبر عام ١٩٤٢ بأمر العدو المستعمر ثم اعيد اعتقاله عام ١٩٤٤ لنشاطه الوطنى ، ولكم تحمل من الوان الحرمان والتعذيب ، فلم تهن عزيمته ولم تنزعزع عقيدته لا ولم يفت ذلك فى عضده ، بل ازداد رسوخا وايمانا ، ولاغروا ، فعلى قدر اهل العزم تأتى العزائم ، فكان له من سنوات سجنه الطويلة فرصة للتفكير ، والتفكير ملیا حتى رجع بتمعنه وتأملاته الى آلاف السنين الخوالى ، وطالع ما كان خلالها من مطامع العالم التى شخصته وتجمعت حول هذا البلد الطاهر ، فظل الشعب المصرى الابى الكريم رازحا تحت نير الاستعباد ردحا طويلا من الزمان ، منخلفا بذلك عن تقدم سائر البلدان. مما كاد يفر من معتقله ، حتى صار رمزا حيا للمطالبة بالحرية ، ومعبرا صادقا للشعور الجامح الذى سرى فى شعب وادى النيل أجمع . من البحر الابيض المتوسط حتى أعالى خط الاستواء ، مطالبا بالتحرر من الظلم والاستعباد والطغيان . »

هذا الكلام الذى كتبه جمال عبد الناصر عن السادات منذ مايقرب من ربع قرن ، يبدو كأنه كتب اليوم . ذلك لان أنور السادات لم يتغير منذ تشرب القيم التى ترعرعت معه فى القرية . من هنا كان تردده من حين لاخر عليها ــ وخاصة فى عيد ميلاده ــ لكى يستوحى المزيد من روحها الصافيه . لكن الامر ليس مجرد احساس رومانسى أو عاطفى ، أو حنين جارف الى براءة الطفولة وحلاوة الصبا ، ذلك لان المسألة تكمن فى أسلوب النشأة والتربية والتعليم والتفكير والخلق والسلوك . انها نظرة عملية ايجابية أكثر منها نظرة رومانسية حالمة . لذلك يقول السادات مخاطبا ابنه فى كتابه « ياولدى هذا عمك جمال » .

« والسنين التى عشتها فى القرية قبل ان انتقل الى المدينة يابنى ، ستظل بخواطرها وذكرياتها زادا يملا نفسى ووجدانى بالصفاء والايمان ، فهناك تلقيت يابنى اول دروس فى هذه الحياة . تعلمتها على يد الارض الطيبة السمحة ، التى لا تبخل على الناس بالزرع والثمر ، وتعلمتها من سماء قريتنا الصافية المشرقة ، تعلمتها فى ظل الجميزة الخضراء الصامدة ، وعلى اغصان الصفصافة الخجول الوديعة ، تعلمتها على حافة الجدول الصغير ، الذى ينقل الى الحقول ترياق الحياة فى رضا وقناعة ، تعلمتها فى ظلال الامسيات البريئة مع زملائى من شباب القرية ، ونحن نلعب تحت ضوء القمر فى شوارع القرية الساكنة الهاجعة » .

من هنا كان ارتباط عيد ميلاد الرئيس السادات بقريته الصغيرة . ومن هنا ايضا نستطيع القول بان هذا العيد كان عيدا متجددا لميلاد كل قيم القرية المصرية ، قيم الايمان والعطاء والصلابة والصمود والحب والسلام فى حياتنا الجديدة .